# " التصوير القرآني للجنة والنار "

**د / أيمن السيد علي الصياد**
**أستاذ الأدب العربي المساعد**
**جامعة طيبة - المدينة المنورة**

• **مستخلص بحث** :

القرآن الكريم هو كتاب الله الذي أحكمت آياته، وأتقنت فصوله، وأبدعت جمله، واختيرت كلماته، وعلا أسلوبه، واتفقت معانيه، وائتلفت مبانيه؛ فلا ترى فيه عوجًا ولا أمتا، ومن ثم كان القرآن الكريم مناط أنظار العلماء، وموضع عنايتهم في القديم والحديث، وإن تعددت وجهات نظرهم إليه، وتباينت مشاربهم منه.

ويهدف هذا البحث إلى خدمة كتاب الله – عز وجل– ولغة كتابه العزيز وبيان وجه جديد من وجوه الإعجاز الأدبي في القرآن الكريم من خلال دراسة التصوير القرآني للجنة والنار دراسة أدبية تحليلية، وما يترتب عليها من تحديد أنماط التصوير القرآني للجنة والنار، وإلقاء الضوء على وسائل القرآن المختلفة في إثارة الحواس والعاطفة من خلال المؤثرات السمعية والبصرية والحركية ودور اللون والإيقاع في النسيج التصويري للجنة والنار، وبيان أساليب القرآن المختلفة في مخاطبة النفس الإنسانية روحيًا وعقليًا بدقة وصفه، وقوة تأثيره، وبلاغة معانيه، من خلال وسائله في الترغيب والترهيب.

ويستخدم البحث المنهج التصويري؛ والتصوير صياغة جديدة لمفردات اللغة وتراكيبها، بحيث تضعها في شكلٍ غير اعتيادي مع معانيها المجردة، وتُلقي بظلالها على القارئ، فتجعله مشاركا في الحدث، ومؤديًا بدوره في نسج خيوطه، ومحتفظا بحقّه في اكتشاف أبعاده، والوقوف على أهدافه، ومستمتعًا بجرس العبارة، وتحليق الخيال، ودقة التشبيه، ولمحة الكناية، وروعة الإشارة، وتناسق الألوان، وظهور الهدف، وإصابة المعنى.. فإذا المفردات والجمل لوحة فنية شاخصة للعيان. زاهية بالألوان. نابضة بالحركة تلقي بأشعتها وأفكارها في نفوس مطالعيها .

يعرض القرآن الكريم لصورتي الجنة والنار من خلال مشاهد مختلفة في الألفاظ والتراكيب والخيال والموسيقى والحركة، ومن ثمّ يجعل هذه المشاهد تنطق بروح الحس والحركة، فهي مشاهد متحركة، تتجسد أمام الناس بكل تجلياتها، ويغلب التصوير الحسي على مشاهد الجنةٍ والنار في القرآن الكريم، وهذا التصوير يجعل المشهد المحسوس حيًّا متحركا وبارزًا مشخّصًا، حيث تتضافر مكونات المشهد في وحدة جمالية متنوعة، فتؤدي الدور المرسوم، وتوحي



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بالمعنى المستكن خلف المشهد فتخفق القلوب، وتتشوق الأرواح، وتسري في النفس الطمأنينة.

ويقوم البحث على سبعة مباحث هي: التصوير النمطي للنعيم المطلق، والتصوير المركب للعذاب الأبدي، والتصوير الصوتي للنار وأهلها، والتصوير الحواري، والتصوير النفسي، والتصوير التهكمي لأهل النار، والتضاد والتوافق التصويري.

**المبحث الأول:** التصوير النمطي للنعيم المطلق واستعراض الصور القرآنية التي استخدمها في حث الناس على الإيمان والتقوى وصالح الأعمال عن طريق مشاهد الترغيب في الجنة؛ وهو إذ يفعل ذلك يلحظ ما طبعت عليه النفوس من تباين في التكوين والاستعداد، فمن النفوس نفوس تستهويها النعم الدنيوية وأخرى تتطلب نعم الآخرة، ولذلك يقدم لها القرآن من هذه النعم ما يلبي لها حاجتها، وتجد فيه بُغيتها، وينقل له من أخبارها ما تطمئن به.

وقد سلك القرآن الكريم عدة مراحل لتحقيق التصوير النمطي لصورة الجنة وأصحابها وقد استعرضنا خلال البحث هذه المراحل في النقاط التالية: الاستقبال والتهيئة النورانية للمتقين في اللحظات الأولى لدخولهم الجنة ومشاهد السوق ونزع ما في صدورهم من غل، وانتقلنا إلى مشاهد الهيئة واللباس والفرش ووصف للوجوه البيضاء النضرة، والثياب الخضراء من سندس واستبرق، والفرش من العبقري الحسان وزينتهم من فضة وذهب ولؤلؤ وحرير.

واستعرضنا مشاهد طعام أهل الجنة وشرابهم وخدمتهم، حيث الفاكهة الكثيرة المتنوعة الدائمة، وشرابهم من أنهار تجري بالماء العذب والعسل المصفى واللبن السائغ والخمر اللذيذة الممزوجة بالزنجبيل والكافور. وتوقفنا عند مشاهد الظل والماء والهواء في الجنان، فاستشعرنا الظل الممدود، وشاهدنا الماء المسكوب، وشممنا الريحان وقد عطرّ أرجاء المكان.

واستوقفنا وصف القرآن للحور العين، وحسن حديثهن، وجمال عيونهن وضياء وجوههن، وتمام شبابهن وعفتهنّ. واستعرضنا التصوير القرآني لمشاهد الحديث والسمر والدعاء بين أصحاب الجنة، حيث يسود الهدوء جو الصورة الحوارية لهم؛ فلا نسمع إلا صوت السلام والحمد والدعاء والتسبيح والتكبير. وتوقفنا عند المشهد الختامي للنعيم النمطي حيث الخلود والرضوان المطلق الذي حلَّ بالمتقين، فيتجلى لهم ربُّ العزّة فيكون الخلود وتمام الرضا من ربهم.

**المبحث الثاني:** التصوير المركب للعذاب الأبدي؛ والتصوير القرآني للعذاب بأشكاله وأدواته، حيث النيران الملتهبة تحرق أجسام الكافرين، ويتصاعد منها دخان كثيف يملأ سماءهم، وأطعمة رديئة، وشراب يقطع الأمعاء، وحميم يُصب



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فوق الرؤوس فيذيب أجسامهم ثم تعود للتكوين من جديد، وملائكة شداد غلاظ مكلفون بعذابهم، فلا يتوقف عذابهم لحظة واحدة.

وقد تناولنا هذا المبحث من خلال عدة محاور هي: الاستقبال والترهيب والفزع وذلك باستعراض مشاهد سوق الكافرين ودفعهم إلى الجحيم وحشرهم في النار، ثم استعرضنا هيئتهم وقت العذاب ولباسهم وفرشهم، فظهرت الوجوه الكالحة المسودة تكسوها الذِّلة والحسرة، وصورهم وهم يسحبون مصفدين بالسلاسل والغلال، لتكون النار مهادهم، والدخان والعذاب غطاءهم، ويشتد العذاب بالكافرين من خلال المحور الثالث حيث النار وعذاب الجسد، فتكب الوجوه في النار، ويصب الحميم فوق الرؤوس، وتحرق الجلود وتنزع لتعود من جديد لمواصلة العذاب، ونتوقف بعدها مع التصوير القرآني لطعام الكافرين وشرابهم، فإذا الزقوم والضريع طعامهم يأكلوه فيصيبهم بغصة، فيستغيثون طلبًا للماء فيأتيهم الحميم والمهل والغسلين ليقطع أمعاءهم، ونأتي إلى المشهد الختامي لصورة العذاب الأبدي، فإذا اليأس المطلق يسيطر عليهم، فهم في النار خالدون، ولن يخفف عنهم العذاب، فتتوالى صور توسلاتهم لخزنة جهنم حتى يدعوا ربهم ليهلكهم في النار، فلا صبر لهم على العذاب، ويختتم المشهد باليقين؛ أنهم في العذاب ماكثون.

**المبحث الثالث:** التصوير الصوتي للنار وأهلها. فقد استعرضنا بعض الألفاظ القرآنية التي رسمت صورة فنية تشكلت من جرس الكلمة وإيقاعها الموسيقي، ومن تأليف حروفها، وائتلافها مع الألفاظ الأخرى. فالألفاظ لها جمالها المتميز، ووقعها النغمي، ودلالتها بإيقاعها على المعنى المراد التعبير عنه؛ لذلك استخدم القرآن ألفاظا معبرة بجرسها عن معانيها من الرعب والفزع، والهول الذي يسيطر على القلوب من مشاهد العذاب وأهله مثل لفظ الزحزحة عن النار، والتغيظ والتميز للنار، والشهيق والزفير للنار وأهلها، وكبكبة الكافرين في النار، وأصوات اصطراخهم في النار، وأصوات النار تنزع جلودهم وتدعوهم إليها.

**المبحث الرابع:** التصوير التهكمي لأهل النار؛ لقد اهتم القرآن الكريم باستخدام الأسلوب التهكمي مع الكافرين أو في حواره المجازي مع أهل النار، فأكسب التصوير القرآني طرافة وتأثيرًا في النفس، وزاد من الحسرة والندم في نفوسهم، وقد استخدم القرآن أسلوب التهكم أو السخرية لإسباغ روح الطرافة على بعض ما يسرده، حتى لا تمل النفس العادية عن الاستماع إليه، وتعددت جوانب الصورة التهكمية في القرآن لحوارات أهل النار ودعائهم، مثل طلب العودة إلى الدنيا من جديد ليعملوا صالحا، أو الإيحاء بالراحة والتذوق، أو طلب وساطة الملائكة عند ربهم لتخفيف العذاب، أو طلب زيادة العذاب لشركائهم في النار، أو تمني الموت السريع لأنفسهم رحمة من عذاب الجحيم.



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

**المبحث الخامس:** التصوير الحواري؛ تتنوع أساليب القرآن الحوارية حسب مقتضى الحال وداعية المقام. فهو قد يختصر الأحداث ويعرضها عرضًا سريعًا، فتطوى فيه التفاصيل. وتعني فيه الإشارة اللمّاحة. تعددت المشاهد الحوارية خلال القرآن الكريم، ونهتم هنا بالصورة الحوارية التي عرضها القرآن الكريم لأصحاب الجنة وأهل النار ورجال الأعراف والملائكة والشياطين، والحوارات المتبادلة بينهم التي نسجت صورًا متعددة التفاصيل تبعًا لشخصية المتحاورين، أو مناخ الحوار أو العلم بموضوع الحوار وأخيرًا أسلوبه٠ واستعرضنا التصوير القرآني للمشاهد الحوارية لتخاصم أهل النار وصورة الحسرة والندم التي تعلو حواراتهم، والصورة الحوارية للكافرين في النار وقرنائهم من الشياطين، ثم تطالعنا الصورية الحوارية بين الكافرين وحواسهم حين تشهد على معاصيهم في الدنيا، كذلك نرى الحوار بين الكافرين وخزنة جهنم لتخفيف العذاب أو طلب الموت السريع، ونقف طويلا أمام أكبر مشهد حواري بين الجنة والنار؛ مشهد الأعراف حيث تعدد اللقطات والشخصيات والبيئات والموضوعات والأساليب الحوارية٠

**المبحث السادس:** التصوير النفسي؛ فقد اهتم القرآن الكريم في دعوته إلى الإيمان بعقيدة التوحيد بإثارة دوافع الناس بترغيبهم في الثواب الذي يحظى به المؤمنون في نعيم الجنة، وبترهيبهم من العقاب أو العذاب الذي سيلحق بالكافرين في نار جهنم، حيث ظهرت عديد من الملامح والآثار النفسية خلال التصوير القرآني للجنة أو النار حتى صارت هناك صور نفسية قائمة بذاتها، تجعل هدفها الأساسي إثارة اليأس والرعب والفزع والحسرة والندم والذل في نفس الكافر المعاند لآيات الله، أو تثير مشاعر النعيم والهدوء والرضا والأمن والطمأنينة واليقين المطلق في قضاء الله وقدره وخلودهم في الجنان.

وتوقفنا أمام الصور القرآنية التي تخاطب النفس الإنسانية من خلال مشاهد تبكيت الكافرين وإذلالهم " حول جهنم جثيًا٠ فيؤخذ بالنواصي والأقدام٠ فكبت وجوههم في النار"، كذلك تصوير نفسية الكافرين بإثارة الرعب والفزع وصورتهم وهم " كالحون في النار، ونضج جلودهم بالعذاب وتبديلها، وطلب جهنم للمزيد"، ثم استعرضنا لصورة اليأس المطلق الذي سيطر على الكافرين وتمنيهم الهلاك! وفي مقابل التصوير النفسي للكافرين من ذل وخزي وحسرة ويأس، استوقفنا التصوير النفسي للمتقين في الجنة حيث سيطر عليهم شعور السعادة والحمد والرضا، فكان الحمد لنجاتهم من الغم والعذاب ودخولهم الجنة، فهم في حمد دائم وشكر لا ينقطع، فحديثهم الحمد والثناء، ودعواهم الحمد، وتحيتهم السلام، فالحمد والسلام شعور نفسي عام يرفرف على أجزاء المشهد، وزيادة عما يتمنون من نعيم حيث لا تحيطه الأقلام، أو تدركه الأفهام٠



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

**المبحث السابع:** التضاد والتوافق التصويري؛ لون جديد من ألوان الإعجاز الأدبي في القرآن الكريم، فقد اهتم القرآن بالتضاد التصويري بين عديد من الموضوعات، ولعل تصوير الجنة والنار من أكثر الصور تقابلا في الكتاب العزيز، من أجل الترغيب والترهيب، وتحقيقا للغرض الديني المنشود من وراء هذا التصوير القرآني للجنة وأصحابها، وطرق تنعمهم فيها، والسلام والرضا والحمد المحيط بهم، والنار وعذاب أهلها، ووسائل عقابهم فيها، والخزي والحسرة واليأس المحيط بهم. وقد تعددت وسائل القرآن الفنية في التضاد التصويري بين الدارين، وأهم تلك الوسائل استخدام تقنيات اللون والصوت والحركة والانعكاس النفسي، ومن ثم الوقوف - من خلال الربط بين عدة صور جزئية – على الصور الكلية للجنة والنار في مشهدين متقابلين، حيث يبرز لنا حينها كيف استطاع القرآن الكريم بإعجاز أدبي بليغ إجراء التوافق التصويري بين صورتي الجنة والنار.

وقد استعرضنا بعض الصور القرآنية في مقام التضاد التصويري بين الجنة والنار وأهلهما، فكان التضاد التصويري خلال مشهد السوق للمتقين في مقابل سوق الكافرين، وهيئة وجوههم ومثار حواسهم ما بين الجنة والنار، كذلك عرض المشاهد الحسية بين النعيم المطلق والعذاب الأبدي؛ فجاء التوافق التصويري بين مشاهد الجنة والنار من خلال الانسجام المتوازي للألوان والأصوات والحركات والانعكاسات النفسية في آن واحد.

**الخاتمة:** وعرض لبعض نتائج البحث مثل: اهتم القرآن الكريم بفكرتي الترغيب والترهيب من خلال التكرر الواضح لصورتي الجنة والنار. فكانت من أكثر الصور القرآنية تكرارًا، لما لها من عظيم الأثر في إثارة النفوس، وتنبيه العقول لفكرتي الثواب والعقاب.

وقد غلب التصوير الحسي على مشاهد الجنة والنار، حيث جعل القرآن المشاهد حية متحركة من خلال اتحاد تقنيات فنية مثل الصوت واللون والحركة. وأصبح هذا التصوير الحسي الباعث الحقيقي لمشاعر التشوق والترقب، وإشاعة جو من السكينة حين نرى صورة الجنة ونعيم أصحابها. في حين يكون باعثًا لمشاعر الخوف والفزع، والاستعداد لهذا اليوم العصيب حينما نرى صورة النار وعذابها.

واستخدم القرآن الكريم ألفاظًا معبرة بجرسها عن معانيها، خاصة في مقام التصوير الصوتي للنار وأهلها، فظهرت صور مرعبة للنار وهولها خلال ألفاظ "الكبكبة، والنزع، والاصطراخ، والدَّعو، والزحزحة، والتغيظ، والشهيق، والزفير" فبدت الصورة الصوتية أكثر حركة، وأوضح رسمًا، وأقوى إثارة للنفس.

واستخدم القرآن التصوير التهكمي لأهل النار، فأكسب التصوير طرافة وتأثيرًا في النفس، وزاد من الحسرة والندم في نفوسهم حينما صور دعاءهم لربهم



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بالعودة للدنيا ليعملوا صالحاً، أو حين يتوسلون للملائكة لتخفيف العذاب، أو حين يطلبون مضاعفة العذاب لكبرائهم في الدنيا، أو قرنائهم من الجن والإنس!

وتعددت المشاهد الحوارية التي عرضها القرآن الكريم لأصحاب الجنة وأهل النار، ورجال الأعراف والملائكة والشياطين، والحوارات المتبادلة بينهم والتي نسجت صوراً متعددة التفاصيل تبعًا لشخصية المتحاورين أو مناخ الحوار، أو العلم بموضوع الحوار، وأخيراً أسلوبه.

واهتم القرآن خلال وصفه المادي والمعنوي للجنة والنار بإثارة النفس الإنسانية من خلال مشاهد النعيم والرضا والأمن للمتقين في رياض الجنة، وإثارة مشاعر الخزي والحسرة والرعب من خلال مشاهد العذاب والتخاصم لأهل النار.

وكشف التصوير القرآني للجنة والنار عن لون جديد من ألوان الإعجاز الأدبي؛ وهو التضاد المتوازي والتوافق التصويري بين مشاهد الجنة والنار، حيث استطاع القرآن الكريم من خلال التضاد المتوازي بين صورتي الجنة والنار وما فيها من مظاهر النعيم والعذاب إحداث توافق تصويري عجيب بين الصورتين من خلال اللون والصوت والحركة والانعكاس النفسي من الهيئة والشراب والحديث والاستقبال والملائكة إلى آخر عناصر التضاد المتوازي لصورتي الجنة والنار.

*******



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com